نـصيحة أخويـة
إلى الأخ الشيـخ فالح
الحربـي
الأولى والثانـية

كتبـها

ربـيع بـن هادي عمير المدخلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

إلى فضيلة الشيخ فالح بن نافع لحربي وفقه الله وسدد خطاه [1].

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد:

فقد وقفت على كلام لكم يتعلق بالجرح لفت نظري حيث :

أولاً- وجهت إليكم أسئلة في يوم الجمعة الموافق ١٤٢٣/٢/٢٧هـ عن بعض الناس فأجبتم بأنهم ليسوا من السلفيين .

وسئلتم هل يشترط بيان أسباب الجرح ؟

فأجبتم بقولكم " ما يشترط هذا بالنسبة لأسباب الجرح بيان أسباب الجرح والتعديل في علم الرواية .

وليس في كلام المخالفين في مناهجهم ، وفي سلوكياتهم " .

وأقول :

١- إنكم سئلتم عن أشخاص معينين مشهورين عند الناس بالسلفية والدعوة إليها وفيهم علماء في نظر الناس فأخرجتهم من السلفية وهذا الإخراج جرح شديد فيهم يحتاج إلى أدلة، فإذا لم تأت بالأدلة وأسباب هذا الجرح رأى الناس أنك قد ظلمتهم وتعديت عليهم وطعنت في دينهم بغير وجه حق، فصرت متهماً عند الناس فتحتاج إلى استبراء دينك وعرضك.

فإن لم تفعل طعن فيك الناس ولن ترضى أنت ولا غيرك بهذا الطعن، فتقوم الفتنة ويحصل الاختلاف بين السلفيين وتكثر الطعون المتبادلة ولا يحسم ذلك إلا بذكر

([1]) إني لم أنشر هاتين النصيحتين ولم أرض بنشرهما لكن اضطرتني تصرفات الشيخ فالح وأتباعه إلى نشرها في تاريخ ١٤٢٥/٤/٢٨هـ .

الأسباب المقنعة بهذا الإخراج وقد تطالب أنت نفسك بذكر الأسباب إن جرحك أحد أو أخرجك من السلفية.

٢- إنه إذا تعارض جرح مبهم وتعديل فالراجح أنه لا بد من تفسير هذا الجرح المبهم، والاشتهار بالدين والسنة والسلفية والدعوة لها أقوى من التعديل الصادر من عالم أو عالمين.

والكلام في المخالفين وفي مناهجهم وسلوكياتهم من أهم ما يدخل في باب الجرح، لأن هناك تلازماً بين الأشخاص ومناهجهم فالذي يطعن في منهج الشخص يطعن فيه.

ولذا ترى السلف يبينون بالأدلة ضلال أهل البدع وفساد مناهجهم ولهم في ذلك المؤلفات التي لا تحصى وسيأتي ذكر بعضها وأرى أنه لا مناص من ذكر كلمات لأهل العلم في اشتراط تفسير الجرح المبهم ورد بعض أنواع الجرح فأقول :

رجح ابن الصلاح أن التعديل مقبول من غير ذكر سببه .

وأن الجرح لا يقبل إلا مفسراً مبين السبب ، لأن الناس يختلفون فيما يجرح ومالا يجرح ونقل عن الخطيب أن هذا مذهب أئمة الحديث ونقاده مثل البخاري ومسلم وغيرهما ولذلك احتج البخاري بجماعة سبق من غيره الجرح لهم كعكرمة مولى ابن عباس -رضي الله عنهما- وذكر آخرين ثم قال واحتج مسلم بسويد ابن سعيد وجماعة أشتهر الطعن فيهم وهكذا فعل أبو داود السجستاني وذلك دال على أنهم ذهبوا إلى أن الجرح لا يثبت إلا إذا فسر سببه ومذاهب النقاد للرجال غامضة ومختلفة .

وذكر عن شعبة -رحمه الله- أنه قيل له لم تركت حديث فلان فقال رأيته يركض على برذون فتركت حديثه ".

مع أن شعبة إمام في الحديث ونقد الرجال لكن نقده هنا ليس بصواب لأن مثل هذا لا يعد من أسباب الجرح المسقطة للعدالة .

وذكر قصة عن مسلم بن إبراهيم وأنه جرح صالحاً المري بما لا يعد من أسباب الجرح وإن كان المري قد ضعف بغير هذا السبب ومما جرح به عكرمة أنه على مذهب الصفرية الخوارج وقد جرحه بذلك بعض الأئمة ولم يقبل البخاري جرحهم لضعف حجتهم .

قال العلامة عبد الرحمن المعلمي في مقدمة الجرح والتعديل (ص:ج)

" وقد كان من أكابر المحدثين وأجلهم من يتكلم في الرواة فلا يعول عليه ولا يلتفت إليه" .

قال الإمام علي المديني وهو من أئمة هذا الشأن :

" أبو نعيم وعفان صدوقان ولا أقبل كلامهما في الرجال هؤلاء لا يدعون أحداً إلا وقعوا فيه " .

وأبو نعيم وعفان من الأجلة والكلمة المذكورة تدل على كثرة كلامهما في الرجال ومع ذلك لا نكاد نجد في كتب الفن نقل شيء من كلامهما " .

ولا فرق في هذا التجريح بين الجرح في العدالة بالفسق أو البدعة وغيرها وبين الجرح في الحفظ والضبط كقولهم سيء الحفظ أو كثير الغلط أو كثير الغفلة ونحو ذلك .

قال ابن الجنيد الختلي سمعت ابن معين يقول :"كان أبو نعيم إذا ذكر إنساناً فقال: هو جيد وأثنى عليه ، فهو شيعي وإذا قال فلان كان مرجئاً فاعلم أنه صاحب سنة"[1].

فهذا أبو نعيم على فضله وجلالته وثناء الإمام أحمد وغيره عليه لا يقبل منه جرح ولا تعديل وأنت ترى أن جرحه هنا في العقيدة فلم يقبله لا يحيى بن معين ولا ابن المديني ولا غيرهما وكذلك عفان بن مسلم -رحمه الله- على فضله ودينه وعلمه لم يقبل أئمة النقد منه جرحاً ولا تعديلاً ويشير كلام المعلمي إلا أن لهما نظراء .

---

(1) الميزان (٣/٣٥٠).

ومن المستغرب جداً قولكم عن بيان أسباب الجرح بالنسبة للتبديع إنه ما يشترط وتعني عند معارضة التعديل للجرح أو ما هو معروف من واقعه سلفاً أنه سلفي وما يعتقده فيه الناس والمستغرب أكثر دعواكم أن بيان أسباب الجرح خاص بعلم الرواية وهذا الرأي لا يقوله أئمة الجرح والتعديل حسب علمي .

فإن كنتم وقفتم لهؤلاء الأئمة على تفرقة واضحة أو لبعضهم تفرقة راجحة بالأدلة فأنا أستفيد وأشكر لكم ذلك .

على أنني أخشى أن يترتب على قولكم هذا مفاسد كبيرة فلو جاء رجل يبدع عالماً مشهوراً بالسلفية مثل الألباني أو ابن باز أو السعدي أو المعلمي أو أي سلفي اشتهر بالسلفية من الأحياء كالشيخ الفوزان والشيخ زيد بن هادي المدخلي أو الشيخ أحمد بن يحيى النجمي أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب البنا أو الشيخ فالح فقيل لهذا الرجل بين أسباب تبديع هؤلاء أو من بدع منهم فقال لا يشترط هنا في باب التبديع بيان أسباب الجرح وأصر على هذا التبديع فهل يسلم له الناس ذلك وهل تتصور أن يسلم أحد من السلفيين من هذا التبديع الذي سيترتب على قولكم هذا .

أرجوا التدبر والتفكير العميق في هذه الأمور، ثم المبادرة بما يجب اتخاذه تجاه هذه القاعدة الخطيرة لأنها انتشرت بين شباب يسقطون غيرهم ثم يسقط بعضهم بعضاً.

ثانياً– قال السائل :" لأنهم قد يقولون قد يجرح الشيخ بما لا يعتبر جرحاً عند غيره ؟

فقلتم عفا الله عنكم:" لا لا هذه من قاعدتهم أعوذ بالله هذه قاعدة ظالمة قاعدة ضللت الأمة هذه قاعدتهم هذه قاعدة ابتدعوها هم ".

أقول : سامحك الله هذه قاعدة أئمة السنة والحديث وليست بظالمة بل هي من صميم العدل الذي جاء به الإسلام لأن العالم قد تخطيء في الجرح أو في التعديل فيصحح أخوه خطأه في هذا أو هذا .

وقد يجرح العالم بغير جارح فيرد العلماء النقاد جرحه إنصافاً لمن وقع عليه هذا الجرح وقد مرت بك الأمثلة.

نعم إذا كان الجارح من العلماء الأمناء العارفين بأسباب الجرح والتعديل والمعترض جاهل أو صاحب هوى فلا عبرة باعتراضه .

ثالثاً – قال السائل :" إذن يكفي الجرح المجمل" .

فقلتم:" من العالم ما فيه جرح ما نقول جرح ما هو من الجرح الرواية قد يكون عالماً إذا تكلم في أهل البدع ويتكلم في المنهج ، يتكلم في العقيدة يتكلم في الدين يكون إماماً في هذا .

وقد يكون لا تقبل روايته لأن ضوابط الرواية ما تنضبط عليه فرق بين هذا الذي هو علم آلة وعلم وسيلة وفن من فنون لحفظ الشريعة وبين الكلام في المذاهب وأهل البدع والنحل ".

أقول :سامحك الله كيف تقول ما فيه جرح ما نقول جرح ..الخ فأي جرح أقوى من التبديع وفضلاً راجع كتب الجرح والتعديل وكتب الجرح الخاصة بالجرح لتراها مكتضة بجرح أهل البدع ببدعهم ومنها كتاب الضعفاء للبخاري وكتاب المجروحين لابن حبان وكتاب الكامل لابن عدي وكتاب الشجرة للجوزجاني والضعفاء لابن الجوزي وتهذيب الكمال وفروعه ومنها تهذيب التهذيب لابن حجر والتقريب له وكتب الذهبي الميزان والديوان والمغني بل علم الجرح الشامل لأهل البدع وغيرهم هو علم خاص كما قال ذلك الحاكم أبو عبد الله .

وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– حيث قال:" والمقصود أن العلماء كلهم متفقون أن الكذب في الرافضة أظهر منه في سائر طوائف أهل القبلة .

ومن تأمل كتب الجرح والتعديل المصنفة في أسماء الرواة والنقلة وأحوالهم – مثل كتب يحي بن سعيد القطان ، وعلي بن المديني ويحيى بن معين ، والبخاري وأبي زرعة ، وأبي حاتم الرازي والنسائي وأبي حاتم بن حبان ، وأبي أحمد بن عدي ،

والدارقطني وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني السعدي ، ويعقوب بن سفيان الفسوى ، وأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي ، والعقيلي ، ومحمد بن عبد الله ابن عمار الموصلي ، والحاكم النيسابوري ، والحافظ عبد الغني بن سعيد المصري ، وأمثال هؤلاء الذين هم جهابذة ونقاد ، وأهل معرفة بأحوال الإسناد – رأى المعروف عندهم بالكذب في الشيعة أكثر منهم في جميع الطوائف"[1] .

وهذا أبو إسحاق الجوزجاني يصدر كتابه في الجرح والتعديل بأهل البدع فقد بدأ بالخوارج إذ كانت أول بدعة ظهرت في الإسلام ثم ذكر تسعة من رؤوسهم .

ثم ثنى بالسبائية ثم المختارية والرافضة والشيعة .

ومن عباراته فيهم ، كان فلان مختارياً وكان فلان غالياً مفرطاً وكان فلان صاحب راية المختار وكان فلان زائغاً وفلان كذاب ، وكذاب شتام .

وكذلك ابن حبان صدر كتابه في المجروحين ببيان أنواع المجروحين وجعل في طليعتهم الزنادقة والرافضة .

فكيف يورد هؤلاء الأئمةُ الرافضةَ وغيرَهم من أهل البدع في كتب الجرح إذا كان التبديع لا يدخل في باب الجرح .

قال الحافظ الذهبي –رحمه الله– مبيناً فائدة الرواية عن ثقات أهل البدع : "ولكن فائدة ذكرنا كثيراً من الثقات الذين فيهم أدنى بدعة أو لهم أوهام يسيرة في سعة علمهم أن غيرهم أرجح منهم وأوثق إذا عارضهم وخالفهم فزن الأشياء بالعدل والورع[2] يعني أن الثقة السني أعظم وزناً وأرجح ممن نقصته البدعة لأنها جرحة فيه فترجح رواية الثقة السني على رواية الثقة الذي عنده بدعة وهذا من العدل الذي شرعه الله .

وجعل الحافظ ابن حجر الرواة على مراتب :

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٦٦/١) .

(٢) الميزان (١٤١/٣).

الأولى الصحابة ، والثانية من أكد مدحه بأفعل كأوثق الناس أو تكررت الصفة لفظاً كثقة ثقة أو معنى كثقة حافظ .

والثالثة من أفرد بصفة كثقة أو متقن أو ثبت أو عدل .

والرابعة من قصر عن الثالثة قليلاً وإليه الإشارة بصدوق أو لا بأس به أو ليس به بأس .

والخامسة من قصر عن الرابعة قليلاً وإليه الإشارة بصدوق سيء الحفظ أو صدوق يهم أو له أوهام أو يخطيء .

ويلتحق بذلك من رمي بنوع من البدعة كالتشيع والقدر والنصب والإرجاء والتجهم مع بيان الداعية وغيره " .

فتراه جعل أهل البدع في المرتبة الخامسة التي عَرَفْتَ أهلها من منطلق تقديم السني على من تلبس ببدعة .

لذا تراه يقول فلان رمي بالقدر فلان رمي بالإرجاء فلان رمي بالتشيع وهم كثر في كتابه وقد علمت أن العلماء أدخلوا أهل البدع الغليظة في كتب الجرح ولم يعارضهم أحد أيضاً فكيف يقال إن الكلام في أهل البدع لا يسمى جرحاً .

وقلتم بارك الله فيكم: " فرق بين هذا الذي هو علم آلة وعلم وسيلة وفن من فنون لحفظ الشريعة وفرق بين الكلام في المذاهب وأهل البدع والنحل ".

أقول: إن علوم الحديث ومنها الجرح والتعديل من أعظم وسائل حفظ الدين وحمايته إذ فيه بيان الثقات العدول الذين أهلهم الله لتلقي الدين وحفظه وتبليغه وفيه حماية من دس الزنادقة والملحدين وغلاة المبتدعين ومن وهم الواهمين وإفك الكذابين .

وكتب السنة (العقائد) قائمة على منهج أئمة الجرح والتعديل والذي لا يسير على منهجهم في نقد أهل الأهواء ونقل النحل والآراء لا يخرج عن حكم الظنون والهوى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- خلال كلامه عن الفرق والحديث عنها وتحريم القول على الله بغير علم : " وأيضاً فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة ويجعل من خالفها أهل البدع وهذا ضلال مبين فإن أهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك ...

"ثم واصل -رحمه الله- ينقد التعصب للأشخاص ويبين أن أهل الحديث أحق الناس بأن يكونوا هم الفرقة الناجية " الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها وأتباعا لها تصديقاً وعملاً وحباً وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها "[1].

والشاهد أن من يتحدث عن الفرق على خلاف منهج أهل الحديث في الجرح والتعديل لا بد أن يتحدث بحكم الظن والهوى لأنه لا منهج لديه يثبت به ما يدين به هذه الفرقة أو تلك وينفي عنها ما ليس من مذهبها .

فقد يكون في أهل الكلام من يؤلف المقالات في الفرق والنحل وليس لديه معرفة ولا منهج يثبت وينفي على أساسه فيتكلم عن تلك الفرق بغير علم بل باتباع الظن والهوى والله يقول (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

ولا يتكلم بحق وعدل وإنصاف من لم يأخذ بمنهج أهل الحديث في الجرح والتعديل الذي به يبين الصحيح من السقيم من حديث رسول الله ويميز به بين الصحيح من السقيم فيما ينسب إلى الفرق وأهل النحل .

(1) مجموع الفتاوى (٣/٣٤٦-٣٤٧).

فالذي يتكلم في أهل البدع ويتكلم في المنهج ويتكلم في العقيدة وهو لا تقبل روايته لا يكون إماماً عالماً وليس أمامه إلا التقليد فيقول قال فلان وقال فلان بغير علم، مثل من يقلد في الفقه مذهباً ويتعصب له وينقل أحكاماً عن هذا المذهب وفيه ما يقبل وما يرد وهو لا يميز بين المقبول والمردود .

فلا هذا المقلد في الفقه ولا ذاك المقلد في العقيدة يصلح للنقد والجرح والتعديل والتبديع والتضليل والأسلم له أن يقلد أهل الحديث لأن عقائدهم مبنية على التمييز بين الصحيح والسقيم ذلك التمييز الذي استمدوه من منهج الجرح والتعديل .

أقول هذا أيها الحبيب لما تضمنه كلامك ولما يلزم عليه لتنظر فيه بل لتمعن فيه النظر لأنه ناشيء عن قواعد غير صحيحة وفقنا الله وإياك لإصابة الحق .

قلتم عفا الله عنكم في تكملة الإجابة على السؤال الثالث :

" يا أخي هؤلاء لبسوا على الناس لأنهم جهلة ومع ذلك يعلمون الناس قواعد يزعمون أنها قواعد أهل السنة في الحكم على الرجال ، الرجال الذين في الرواية غير الرجال الذين في الفتوى و في العلم هؤلاء أضلوا العالم بهذه القاعدة .

كونهم يأتون بقاعدة في علم الرواية ويطبقونها على الكلام في أهل البدع من قبل علماء أهل السنة" .

أقول : نعم إن أهل الأهواء لهم قواعد باطلة لكن قاعدة إنه لابد من بيان أسباب الجرح عند تعارض الجرح والتعديل قاعدة صحيحة وهي من قواعد أهل السنة دون ريب ويجب تطبيقها حين يبدع مسلم اشتهر بالسلفية أو يفسق أو يرمى بالكفر أو الجاسوسية والعمالة .

أرأيت لو جاء عالم أو متعالم فيرمي الشيخ فالحاً بالبدعة أو الفسق أو ...الخ أتقبل منه هذا أو تسلم له ولا تطالبه ببيان سبب هذا التبديع أو التفسيق وإقامة الحجة والبرهان على دعواه .

وأقول يا أخي إنَّ السؤال كان عن اشتراط بيان أسباب الجرح .

إذا جرح شخص اشتهر بين الناس أنه سلفي وهو يدعيها ما هو عن إنسان اشتهر مثلاً بالرفض أو التصوف والقبورية أو الحزبية أو عن تدريس كتاب يتحدث عن الفرق الضالة أو عن محاضرة يلقيها عالم يتحدث عن هذه الفرق .

لو جئت يا أخي أي عالم من علماء السنة مثل ابن باز أو الألباني أو ابن عثيمين أو الفوزان بالطعن في أحد تلاميذه الذين يعتقد فيهم أنهم من أهل السنة السلفيين. ويعتقد أنهم يحاربون البدع وأهلها لو بدعت واحداً من تلاميذه أو جماعة أيسلم لك هذه القاعدة التي تفرق بها بين الكلام في باب الرواية والكلام في باب التبديع.

وهل يوافقك هؤلاء العلماء أن قاعدة بيان أسباب الجرح عند تعارض الجرح والتعديل أو عند الحاجة إلى بيان الأسباب أنها قاعدة باطلة وهل يوافقونك على أن من قال بهذه القاعدة قد أضل الناس بها.

وأضفت في حوارك مع السائل قولك "يا أخي ما كان طريقه السماع هذا بابه الرواية والرواية فن من فنون العلم .

وما كان بابه الاستنتاج ، الاستنتاج من المسموع المنقول من الشريعة من يوم نزلت إلى أن كملها الله وتوفي رسول الله ﷺ وانقطع الوحي فهذا بابه الفتوى ويرجع فيه إلى العلماء ".

أقول : إن سؤال السائل كان عن اشتراط بيان أسباب الجرح وهو يعيش فتنة مشتعلة كثر فيها الجدال والقيل والقال والتبديع والتضليل من أطراف كل طرف يدعي أنه من أهل السنة .

فالجواب الصحيح أنه إذا وقع من طرف أو من الأطراف تبديع أو تضليل أنه لا بد من بيان أسباب هذا التبديع بياناً شافياً تقوم به الحجة ويقطع به دابر الفتنة ويظهر للناس أن أحكام الطرف المبدع قامت على علم وحجة وبرهان .

ألا ترى أن من يخاصمونك يدعون أنهم هم أهل السنة حقاً والسلفيون حقاً وأنك على باطل وظالم وحاقد وحاسد ولهم صولات وجولات هنا وهناك .

فلو بدعوك ومن معك وضللوكم وطعنوا فيكم بما يشاؤن فاستنكر الناس منهم ذلك وطالبوهم ببيان أسباب هذا التبديع والتضليل والطعن فأجابوهم بأنهم لا يلزمهم بيان الأسباب بدعوى هذا التفريق الذي تقول به وتؤكده وتضلل من لا يقول به.

وترى أن من يقول باشتراط بيان الأسباب قد أضلوا العالم .

وأسألك أخي من خلط من الناس بين علم الجرح والتعديل الشامل للتبديع وغيره وبين ما بابه الاستنتاج من نصوص الكتاب والسنة من عقائد وأصول وفقه حتى تقول مثل هذا الكلام؟ .

وأذكرك بأن لك جواباً آخر على مثل هذا السؤال قررت فيه أن كلام العلماء المشتمل على التبديع يدخل في الجرح فقد وجه إليكم سؤال ونصه:"

سؤال :" ما هو رأيكم في هذا القول : لا نقبل جرح العالم المجمل في من اشتهر بالسلفية حتى يأتي الجرح ...؟ ولعله سقط منه كلمة المفسر"

فقلتم الجواب : "هذا باطل ، ونقر الجرح من أهل العلم في أهل البدع ، هذا الشخص من أهل البدع فيجب أن يحذر ولا يعتبر لكونه معروف بالسلفية إذا اصَّل[1] أهل العلم وبيَّن أهل العلم أن هذا الرجل قد ابتدع الكلام ، كلام يقصد به أصحابه أن يدافعوا عن الذين كانوا مستورين أو كان يظن فيهم السلفية ثم ظهرت خلفيتهم ، فينبغي أن يتنبه إلى مسائل هؤلاء وإلى ما يضربونه من تقعيد الباطل ".

ففي إجابتك على هذا السؤال ما يأتي :

١- اعترافك بأن الطعن بالتبديع فيمن اشتهر بالسلفية يدخل في باب الجرح .

٢- قولك:" هذا باطل"، ليس بصواب فالصواب أنه لابد من تفسير الجرح المجمل كما هو الراجح عند أئمة النقد والجرح والتعديل ولا سيما في هذا الوقت الذي

---

(1) كذا ولعله " فصل" .

كثرت فيه الفتن والإشاعات والقيل والقال وكثرت فيه التعصبات ولاسيما إذا كان الجرح فيمن اشتهر بالسلفية ، وقد اعترفت أن هناك من يدافع عن هذا الصنف وهذا أمر واضح منتشر في البلدان شرقاً وغرباً وفي شبكات الانترنت .

٣- لقد اعترفت هنا من حيث تشعر أو لا تشعر بأنك تقول بلزوم تفسير الجرح المجمل وذلك ظاهر قولك إذا أصَّل وبيَّن أهل العلم.

فما التأصيل أو التفصيل أو البيان إلا تفسير للجرح المجمل وبيان أسبابه وحججه.

وإني والله لأحب لك ما أحب لنفسي ومن ذلك الرجوع إلى الصواب في هذه المسائل إلى طريقة السلف في التفصيل والبيان في نقد أهل البدع وأهل الأخطاء حتى يتبين خطأ المجتهدين وتستبين سبيل المبتدعين والمجرمين .

وأخيراً أقول : إن إصدار الأحكام على أشخاص ينتمون إلى المنهج السلفي وأصواتهم تدوي بأنهم هم السلفيون بدون بيان أسباب وبدون حجج وبراهين قد سبب أضراراً عظيمة وفرقة كبيرة في كل البلدان فيجب إطفاء هذه الفتن بإبراز الحجج والبراهين التي تبين للناس وتقنعهم بأحقية تلك الأحكام وصوابها أو الاعتذار عن هذه الأحكام.

ألا ترى أن علماء السلف قد أقاموا الحجج والبراهين على ضلال الفرق من روافض وجهمية ومعتزلة وخوارج وقدرية ومرجئة وغيرهم .

ولم يكتفوا بإصدار الأحكام على الطوائف والأفراد بدون إقامة الحجج والبراهين الكافية والمقنعة.

بل ألفوا المؤلفات الكثيرة الواسعة في بيان الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة وبيان الضلال الذي عليه تلك الفرق والأفراد .

فانظر إلى رد الإمام أحمد على الجهمية ورد عثمان بن سعيد الدارمي على الجهمية والرد على بشر المريسي و"كتاب السنة" لعبد الله بن احمد و"السنة" للخلال

و"الشريعة" للأجري و"الإبانتين" لابن بطة و"شرح اعتقاد أهل السنة" للالاكائي و"الحجة" للأصبهاني وغيرها من المؤلفات الكثيرة .

وانظر إلى مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية "كالمنهاج في الرد على الروافض" و"درء تعارض العقل والنقل" في الرد على الأشاعرة و"نقض التأسيس" في الرد على الرازي في الدرجة الأولى والرد على البكري (الاستغاثة) و"الرد على الأخنائي" وكتاب "الفتاوى الكبرى" ، وانظر "مجموع الفتاوى" له وكم رد على الصوفية ولا سيما ابن عربي وابن سبعين والتلمساني ردوداً مفصلة مبينة قائمة على الحجج والبراهين.

وكذلك كتب ابن القيم "كالصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" و"شفاء العليل في القضاء والقدر والقدر والتعليل" وانظر إلى ردود أئمة الدعوة السلفية منذ قامت دعوة الإمام محمد ابن عبد الوهاب ويكفيك منها الدرر السنية.

أترى لو كان نقدهم ضعيفاً واحتجاجهم هزيلاً وحاشاهم من ذلك.

أو اكتفوا بإصدار الأحكام فقالوا الطائفة الفلانية جهمية ضالة ، وفلان جهمي وفلان صوفي قبوري ، وفلان من أهل وحدة الوجود والحلول.

والروافض أهل ضلال وغلو ويكفرون الصحابة ويسبونهم والقدرية، والمعتزلة من الفرق الضالة أو كان نقدهم ضعيفاً فإذا طولبوا بالحجج والبراهين وبيان أسباب تضليل هذه الفرق قالوا ما يلزمنا ذلك وهذه قاعدة ضالة تضل الأمة.

أترى لو فعلوا ذلك أكانوا قد قاموا بنصر السنة وقمع الضلال والإلحاد والبدع؟.

الجواب لا وألف لا، وإن من ينتقد المشتهرين بالسنة يحتاج إلى حجج أقوى وأوضح .

فعلى من يتصدى لنقد البدع وأهلها أن يسلك طريق الكتاب والسنة ويسلك مسلك السلف الصالح في الدقة في النقد والجرح وفي إقامة الحجج والبراهين لبيان ما عليه هو من حق وما عليه من ينتقدهم من الفرق والأحزاب والأفراد والمخطئين من ضلال وباطل أوخطأ.

وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه .

وأرجو المبادرة بالإجابة لمسيس الحاجة إليها ومنها تصحيح فهوم الشباب السلفي الذين فرقهم الاختلاف والقيل والقال .

ومن أسباب ذلك عدم الإنضباط الدقيق بمنهج السلف من بعض الناس إما بتشدد زائد وإما بتساهل ضار .

ودين الله الذي ارتضاه هو الوسط بين الإفراط والتفريط وهو الذي التزمه سلفنا الصالح ومن سار على نهجهم من أئمة الإسلام وأعلام السنة رحمهم الله تعالى ويجب علينا جميعاً التزامه والعض عليه بالنواجذ.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ملحق

وقفت أخيراً على كلام لكم في كتاب المصارعة (ص ١٤١)[1] له تعلق بالجرح والتعديل وتقسيم المتكلمين فيه إلى ثلاثة أقسام أحببت توضيحه :

حيث قلتم " .. أما أن يقال إن قاعدة الجرح والتعديل، جرح مفسر ننظر إلى المتشدد والمتوسط والمتساهل، نحن عندنا المتشدد في السنة هو الذي يصار إليه ما عندنا هذا التقسيم عند أهل السنة والجماعة.

ولم يوجد أحد قدح في أهل السنة بأنهم يتشددون في كلامهم على أهل البدع ولم يوجد هذا إلا من خصومهم من أهل البدع فينتبه إلى هذا الأمر، فالرجل ضال في هذه القضية وربما أتاه ضلاله من هذه القاعدة التي قعدها له إبليس وهي كونه لا يقلد كائنا من كان سبحان الله!".

أقول:

١- تقدمت قضية بيان أسباب الجرح وأن الراجح عند تعارض الجرح المبهم والتعديل أنه لابد من بيان أسباب الجرح.

وأما تقسيم أئمة الجرح والتعديل إلى متشددين ومتوسطين ومتساهلين فهذا أمر معروف عند أهل الحديث.

٢- وعند اختلافهم في الجرح سواء كان الجرح بالتبديع أو غيره بوزن اختلافهم بميزان العدل. فمن كان منهم معه الحجة والبرهان أُخذ بقوله، سواء كان متشدداً أو متوسطاً أو متساهلاً.

٣- ولا يصح القول بأنه يصار إلى قول المتشدد مطلقاً لأنه متشدد فيقدم قوله لأجل شدته فهذا أمر لا يعرف عن أهل السنة حسب علمي، وهو أمر يتعارض مع العدل الذي قامت عليه السموات والأرض، ويتعارض مع أصول أهل السنة.

---

(١) خلال كلامه على الأزهر الجزائري.

وما إخال أن الصواب لا يأتي غالباً إلا مع المتوسطين لأن هؤلاء ينطلقون من الأناة التي يحبها الله ومن الرفق الذي يحبه الله ورسوله "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"[1].

والمتشددون قد يفقدون هذه الصفات أو بعضها ولهذا نشأت مشاكل عن الشدة مثل مشكلة الغلو والخروج والتكفير والتبديع بغير حجج ولا براهين ومخالفات العلماء بل والطعن فيهم ومحاولة إسقاطهم كما جرى سابقاً ويجري الآن في بلدان المسلمين وهذا أمر ظاهر جلي .

٤-نعم أهل البدع يصفون أهل السنة بالشدة لينفروا الناس عن الحق ومع ذلك يوجد في علماء المسلمين من وصف بالشدة وصفهم بذلك أهل السنة لا أهل البدع.

وهم قلة بالنسبة للآلاف من أئمة الحديث والفقه الذين يتصفون بالاعتدال والتوسط والرفق والأمر الذي كان عليه رسول الله حيث كان رحيماً رفيقاً ﷺ وهو القائل : " إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه"[2].

وقوله صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قال:" إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"[3] على أن شدة هؤلاء ليست هي الشدة التي يتصورها الجهلة إذ هؤلاء معدودون في العلماء العقلاء المتحلين بالأخلاق العالية وكانوا يستخدمون الشدة في موضعها المناسب ، وليست أصلاً في حياتهم ودعوتهم وليست شدتهم على أهل السنة كما يفعله الآن بعض المراهقين المشبوهين .

وكان من أقوم الدعاة إلى الله بهذه الصفات الشيخ بن باز -رحمه الله- وهو مشهور بذلك والشيخ عبد الله القرعاوي - رحمه الله- فلقد كان حكيماً رفيقاً لا يواجه الناس بسوء ولا فحش ولقد انتشرت دعوته بهذه الحكمة من اليمن إلى مكة ونجران في زمن قصير وقضى بعد عون الله بدعوته الحكيمة على كثير من مظاهر الجهل والشرك والبدع ، وكان من أبعد الناس عن الشدة والتنفير وكان يشبهه في أخلاقه : الحلم والحكمة والأناة والرفق تلميذه النجيب الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي -رحمه الله- فقد ساعد في نشر الدعوة السلفية شيخه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستتابة (٦٩٢٧) ومسلم حديث(٢١٦٥).

(٢) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة حديث (٢٥٩٣).

(٣) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة حديث (٢٥٩٤).

القرعاوي رحمه الله بهذه الأخلاق وبالعلم الذي بثه وكانا لا يسبان بل ولا يهجران[١] أحداً حسب علمي ويأتيهم الجاهل والفاسق والزيدي والصوفي فيتعاملان معهم بالعلم والحلم والرفق والحكمة الأمور التي تجعل هذه الأصناف تقبل الحق وتعتنق الدعوة السلفية الخالصة .

فليكن منهج الرسول الحكيم نصب أعيننا "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا "[٢] .

وكذلك ليكن نصب أعيننا أحاديث الرفق وآيات وأحاديث الصبر والحلم والحكمة والموعظة الحسنة والعفو والصفح الأمور التي يجمعها قول الله تعالى في رسوله الكريم (وإنك لعلى خلق عظيم) .

ولنحذر ما حذر الله رسوله منه من العنف والشدة والتنفير ولا نجعل ذلك منهجاً.

وقد يلجأ العاقل الحكيم إلى الشدة المشروعة إذا انسدت في وجهه سبل الحكمة والرفق وسبل التيسير فحينها يستعمل الشدة التي يسمح بها الشرع الحكيم ولا يتجاوز ذلك إلى ما يوقعه في الإثم فيكون حكيماً في هذا التصرف محموداً عليه عند الله وعند العقلاء .

ولكل شيء موضعه وما أوسع مواضع الرفق والحكمة والتيسير فهي الأصل في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

أخي إن الشدة التي نشأت هذه الأيام ليست من السلفية في شيء والدليل أنها صارت سهاماً مسددة إلى نحور دعاة السنة بحق ويسعى أهلها إلى إسقاط هؤلاء الدعاة وإبعادهم عن ساحة الدعوة بحجة أنهم مميعون وهي حجة إبليسية كاذبة ظالمة ، فصاروا بهذا الأسلوب أكبر عون لخصوم السنة وأهلها على السلفية وأهلها فانتبه للألاعيب والمكايد والدسائس التي يستخدمها خصوم السنة ولاسيما في هذا العصر .

---

(١) أقول هذا لمن كان عالما قوي الشخصية مؤثرا في أهل الأهواء أما الجاهل أو الضعيف الشخصية الذي تخطفه الشبه فعليه أن يبتعد عن أهل البدع ولا سيما دعاتهم حذرا من الوقوع في فتنتهم كما حصل لكثير من ضعفاء النفوس .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد حديث (٣٠٣٨) ، ومسلم أيضا حديث (١٧٣٣) .

٥- وأما قولكم عن قول الأزهر : " أنا لا أقلد أحداً كائناً من كان وأن هذه قاعدة قعدها إبليس " فهذا كلام غريب لا ينبغي أن يصدر منكم فإن هذا قول أئمة السنة ومنهم الإمام أحمد -رحمه الله- فإنه قال : " لا تقلد أحداً " وما قاله للأئمة وإنما قاله لطلاب العلم وذلك حث منه ومن غيره على التمسك بالكتاب والسنة وفقنا الله جميعاً لقول الحق والعمل به .

كتبه أخوكم:

ربيع بن هادي عمير المدخلي

في ٨ ربيع الأول ١٤٢٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فهذه لفتات إلى أخطاء صدرت من الأخ الكريم الشيخ فالح بن نافع الحربي وفقه الله وسدد خطاه أنبهه إليها.

أولا:–حكم التقليد(١)

قلتم في مقال لكم نشر في شبكة أنا السلفي بتاريخ ٢٢/١٠/٢٠٠٢م :" ويكفيك أن عبد المالك يسير على منهجهم في قضية عدم التقليد ، وأنه حرام ، بكون يقول لهؤلاء ينظرون حتى في كلام العلماء ، وهو ما تردُّه رسالات الرسل ، وتردُّه العقول السليمة ، ينظرون وما يقتنعون به يأخذون بِهِ ، هذه قاعدة : (لا نقلّد ونقول الحق) عند المأربي وعند هؤلاء جميعا الذين أشَرت إليهم والذين مرَّ ذكرهم في الحديث ممن هم على شاكلة المأربي ويناصرونه ".

أخي في هذا الكلام إجمال وإيهام للواقف عليه أن التقليد واجب على عموم الناس كما في بعض اطلاقاتك أو إلا المجتهدين وما أقلهم كما في بعض كلامك الآخر ، وأن عدم التقليد ترده رسالات الرسل والعقول السليمة ، بل هو نسف لرسالات الرسل ولما أنزله الله عليهم من الكتب وهذه الأحكام صعبة جدا وثقيلة لا يحتملها الإسلام .

نعم دعوة أبي الحسن إلى عدم تقليد العلماء إنما هي كلمة حق أراد بها باطلا، أراد بها إسقاط العلماء وإسقاط أقوالهم وفتاواهم المقرونة بالأدلة والبراهين، وقد بينت أنا والحمد لله فساد قصده وتعلقه بعدم التقليد في مقالي" جناية أبي الحسن على الأصول السلفية".

ولكن ردك عليه بهذا الأسلوب، وبهذه الطريقة المبالغ فيها لا يتجاوز أن يكون رد باطل بباطل أشد منه.

---

(١) التقليد هو قبول قول الغير بغير حجة وهو الذي ينكره الإسلام وعلماؤه على متعصبة العقائد والمذاهب الذين يقدمون أقوال الرجال على نصوص الكتاب والسنة .

أخي أنت تعلم وكل متمسك بالكتاب والسنة أن الله أوجب على الناس اتباع الأنبياء واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، واتباع ما جاء به من كتاب وسنة في نصوص كثيرة من القرآن والسنة، منها قوله تعالى:((اتبعوا ما انزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء)).

وقال سبحانه:((وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)).

وقال تعالى:((واعتصموا بحبل الله جميعاً)).

فهذه النصوص كلها تبطل التقليد وتحرمه.

وقال تعالى في ذم المقلدين:((وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)).

وقال تعالى:((وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مهتدون)).

وقد استدل أئمة السنة والإسلام بهذه الآيات ونظائرها على تحريم التقليد على من يستطيع أن يفهم نصوص الكتاب والسنة سواء كان من أهل الاجتهاد أو من أهل الاتباع.

وقرروا أن التقليد إنما يجوز للعاجز عن إدراك الحق من الكتاب والسنة وأن التقليد كالميتة أصلها حرام وإنما يجوز للمضطر أكلها.

ولقد علمت أن أئمة الإسلام حرموا على الناس أن يقلدوهم، وأن منهم من يقول لا يجوز لأحد أن يأخذ بقولي حتى يعلم من أين أخذت.

ويقول الإمام الشافعي:" إذا خالف قولي قول رسول الله فاضربوا بقولي عرض الحائط".

ويقول الإمام أحمد:" لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا".

وقرر علماؤنا أئمة السنة القاعدة المعروفة المنسوبة إلى الإمام مالك:" كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقالوا :"إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل"، كل ذلك منهم محاربة للتقليد.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يجيب عن سؤال وجه إليه حول التقليد:

"الحمد لله ، قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله سبحانه وتعالى فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل

ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله ﷺ ، حتى كان صديق الأمة وأفضلها بعد نبيها يقول : أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم .

واتفقوا كلهم على أنه ليس أحد معصوماً في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول الله ﷺ ، ولهذا قال غير واحد من الأئمة : كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

وهؤلاء الأئمة الأربعة رضي الله عنهم قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه ، وذلك هو الواجب عليهم ، فقال أبو حنيفة : هذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت ،فمن جاء برأي خير منه قبلناه ، ولهذا لما اجتمع أفضل أصحابه أبو يوسف بمالك فسأله عن مسألة الصاع ، وصدقة الخضروات ، ومسألة الأجناس ، فأخبره مالك بما تدل عليه السنة في ذلك ، فقال : رجعت إلى قولك يا أبا عبد الله ، ولو رأى صاحبي ما رأيت لرجع إلى قولك كما رجعت .

ومالك كان يقول : إنما أنا بشر أصيب وأخطيء ، فأعرضوا قولي على الكتاب والسنة ، أو كلاماً هذا معناه .

والشافعي كان يقول : إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط ، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فهي قولي .

وفي مختصر المزني لما ذكر أنه اختصره من مذهب الشافعي لمن أراد معرفة مذهبه قال : مع إعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره من العلماء .

والإمام أحمد كان يقول : لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكاً ولا الشافعي ولا الثوري وتعلموا كما تعلمنا ، وكان يقول : من قلة علم الرجل أن يقلد دينه الرجال وقال : لا تقلد دينك الرجال فإنهم لن يسلموا من أن يغلطوا .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " ، ولازم ذلك أن من لم يفقهه الله في الدين لم يرد به خيراً ، فيكون التفقه في

الدين فرضاً ، والتفقه في الدين : معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقهاً في الدين ، لكن من الناس من قد يعجز عن معرفة الأدلة التفصيلية في جميع أموره ، فيسقط عنه ما يعجز عن معرفته لا كل ما يعجز عنه من التفقه ويلزمه ما يقدر عليه ، وأما القادر على الاستدلال فقيل: يحرم عليه التقليد مطلقاً [1]، وقيل : يجوز مطلقاً ، وقيل : يجوز عند الحاجة ، كما إذا ضاق الوقت عن الاستدلال ، وهذا القول أعدل الأقوال .

والاجتهاد ليس هو أمراً واحداً لا يقبل التجزي والانقسام ، بل قد يكون الرجل مجتهداً في فن أو باب أو مسألة دون فن وباب ومسألة ، وكل أحد فاجتهاده بحسب وسعه" . "مجموع فتاوى شيخ الإسلام" (٢٠/٢١٠-٢١٢) .

وكم ألف العلماء من المؤلفات في ذم التقليد وحذروا منه ودعوا الناس إلى اتباع الكتاب والسنة.

أخي إن رسالات الرسل ما جاءت إلا بالتوحيد ومقتضياته وجاءت بهدم التقليد الذي هو أصل من أصول الشرك في أمم الضلال، كما دل على ذلك القرآن.

والعلماء في ديننا ما يتبعون إلا إذا استندت أقوالهم إلى نصوص الكتاب والسنة، فإذا خالفت أقوالهم النصوص وجب مخالفتها وردها، وإذا فقدت الأدلة لا يلزم أحداً اتباعهم.

والعلماء كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" يحتج لهم ولا يحتج بهم".

---

(١) والذين يطالبهم بالتقليد هم من طلاب العلم القادرين على الاستدلال وبعضهم مدرسون في الجامعات وغيرها، ومنهم طلاب وفقهم الله لقبوله، وفيهم أهل أهواؤ تركوا الحق وهم يعرفونه، واتبعوا الباطل، فهؤلاء لا يقال لهم لا بد أن تقلدوا وإلا فتكونوا قد كذبتم الكتاب والينة، وكذبتم الإسلام، او يقال لهم نسفتم الرسالات، لا يقال لهم هذا ولا ذاك،وإنما يقال لهم عليكم أن تنظروا في الأدلة وتأخذوا بها كما فعل العلماء وطلاب الحق الصادقين، ولا يجوز لكم ان تخالفوا العلماء الذين حكموا على فلان أو فلان بالأدلة الواضحة والبراهين القاطعة، فهذا هو المنطق الذي قرره القرآن والسنة وعلماء الإسلام، بخلاف ما يقرره فالح ويدعو إليه من التقليد الأعمى مخالفاً في ذلك هذا المنهج العظيم.

نعم النوازل العظيمة لا ينهض لمواجهتها وإصدار الفتاوى فيها إلا العلماء الأفذاذ ولكن ذلك لا يمنع غيرهم من طلاب العلم أن يعرفوا حججهم وبراهينهم التي استندوا إليها وانطلقوا منها في فتاواهم .

هذا تعليق موجز على كلامكم الموهم وجوب التقليد وأن تركه مما ترده الرسالات .

وكان من واجبكم إن أردتم الرد على أبي الحسن ومن تابعه أن تفصل في الموضوع بأن تبين قصده كما تبين وجوب الإتباع والحذر من التقليد الباطل ، وتبين متى يجوز.

وما ينبغي أن تتعرض لقضية كبيرة هي من أعظم محاور الصراع بين الأنبياء وأعدائهم ، ومن أعظم محاور الصراع بين أئمة الهدى والإصلاح وخصومهم من دعاة الضلال والخرافات والشرك، فما ينبغي أن تعرضها على هذه الصورة.

لقد ركز الشيخ فالح على دعوة الناس إلى التقليد ولم يستثن إلا المجتهدين ونسي حث الكتاب والسنة والصحابة وأئمة الهدى الناس على اتباع الحق واتباع الكتاب والسنة وأن العصمة من الضلال والفتن إنما هي في اتباع الكتاب والسنة لا في التقليد .

قال تعالى : (فمن اتبع هدايا فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى).

وقال رسول الله ﷺ : " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي " .

ومحاربة الأئمة للتقليد وحثهم على اتباع الكتاب والسنة كثيرة تزخر بها الكتب

وليقرأ الشيخ فالح على الأقل ما قرره ابن القيم في كتبه ومنها إعلام الموقعين حيث رد على دعاة التقليد شبهاتهم الباطلة بواحد وثمانين وجهاً كل وجه ينطوي على عدد من الحجج الدامغة للباطل .

ولقد سئل عن قول الأزهر الجزائري : " الشرع الذي يلزمني ألا أقلد عالماً من العلماء مهما كانت مرتبته" .

قال مجيبا :" لا لا هذا باطل هذا باطل ، هذا إذا كان مجتهداً إذن هو أحمد وإلا الشافعي ما شاء الله يرى نفسه فوق وعلق عليه بكلام كثير ومنه قوله هذا الكلام هو نسف لرسالات الرسل ولما أنزله الله عليهم من الكتب[1] .

وأقول للشيخ فالح الذي لا يستثني من التقليد إلا الأئمة المجتهدين : إنك قد خالفت الأئمة المجتهدين الذين ينهون الناس غير المجتهدين عن تقليدهم أشد النهي ويحثونهم على اتباع الكتاب والسنة أشد الحث فلو كان الأئمة يرون رأيك لرأيت الكتب تزخر بحث الناس على التقليد ولكن الواقع بعكس ذلك كما يراه البصراء .

و ولقد طعن الشيخ فالح طعناً شديداً في الأزهر الجزائري لأنه لا يرى ما يرى الشيخ فالح من وجوب التقليد عليه .

ومن طعونه في الأزهر وهي كثيرة وصعبة لا تستساغ ، قوله :

" والله إن هذا الشخص لهو من الدعاة على أبواب جهنم كيف لا يكون من الدعاة على أبواب جهنم وهو يؤصل للأمة أصولاً ويقعد لها قواعد ويدافع عنها ويزعم أنها هي الحق ويدعي أنها هي الدين وأنه يجب على غيره أن يتبعها هذا هو الضلال المبين علينا أن نحذر من هذا الجاهل وأمثال هذا الجاهل أن يضلنا عن سبيل ربنا " .

وأقول لم أر هذه القواعد التي وصلت إلى هذه الدرجة من الخطورة فوضحها للناس؟، ولم أر هذه الدعوى التي ينسبها إليه الشيخ فالح فليذكرها؟!..

ثم إن الشيخ فالحاً حذر من هذا الرجل تحذيراً شديداً لم أر في تحذيره من اهل البدع أشد منه لما قال أنا لا أقلد عالماً مهما كان علم هذا العالم ، ويرى أنه نسف لرسالات الرسل ولما أنزله الله عليهم من الكتب حيث جعل الناس جميعاً يجتهدون ويأخذون بما يقتنعون به.

والحق أن الرجل إنما نفى التقليد عن نفسه ولم يجعل الناس جميعاً يجتهدون .

والأزهر كما أعرفه من حملة العلم ومن الدعاة إلى المنهج السلفي والذي أعرفه عنه أنه ضد أهل البدع والأحزاب جميعها من إخوانية عالمية وأهل الجزأرة والقطبيين والسروريين والتكفيريين وغيرهم وضد أبي الحسن وعيد شريفي ومنهجهما ، وعنده بعض الأخطاء التي تستدعي المناصحة الأخوية لا هذه الحرب الشديدة التي شنها عليه الشيخ فالح وهذا التضليل

---

[2] أنظر المصارعة ص١٣٨-١٤٠ .

والتجهيل استجابة لتحريشات المجهولين المغرضين الذين يسعون في تفريق أهل السنة وتشتيتهم .

ثم إن الأزهر وإخوانه من الدعاة إلى المنهج السلفي في الجزائر والواقفين ضد أهل الأهواء والبدع لا يقصرون في العلم عن منزلة الشيخ فالح بل قد يفوقه بعضهم بل الأزهر لا ينزل عن درجة الشيخ فالح العلمية فما بال الشيخ فالح يفرض على الأزهر التقليد ويشد طوق التقليد على عنقه وفي الوقت نفسه ينزل نفسه منازل المجتهدين .

فهذا أحد المهيجين للفتنة في الجزائر يقول للشيخ فالح : " سؤال هنا يرد سؤال يقول من اتخذ التمييع منهجاً له لماذا لا يقتدي الشيخ فالح بغيره من العلماء ويراعي مصلحة الدعوة؟!

فأجابه الشيخ فالح بقوله : يا أخي كما يقول العامة " كل شاة معلقة بكراعها " .

أخذها الشاعر وقال :

وكل شاة برجلها معلقة   عليك نفسك إن جاروا وإن عدلوا

هذا تبرأ به ذمة فالح ، يكون قد أدى ما عليه وإلا صار مقلداً متابعاً [1]" .

ويقول عن نفسه : " فكيف لهذا الإنسان أن يحاكم إلى الآخرين ويتبع الآخرين ويكون ذيلاً لهم ما يصلح هذا الكلام خصوصاً إذا كان الآخرون لم يبينوا أو لم يعلموا علمه[2]".

فالمنصف يرى أن في كلام الشيخ فالح افتئآتا على العلماء ومبالغة في رفض التقليد أشد من رفض الأزهر.

فكيف يحكم الشيخ فالح على الأزهر بهذا الحكم الجائر بأن قوله بعدم التقليد "نسف لرسالات الرسل والكتب التي نزلت عليهم"، وينسى نفسه، وقوله أشد ومستواهما العلمي واحد أو متقارب.

وكلاهما لم يبلغ مرتبة الاجتهاد التي يقررها الفقهاء والأصوليون ، هذه المرتبة التي لا أعرف الآن عالماً يدعيها ومع ذلك لا يضيقون الخناق على أنفسهم ولا على الأذكياء من طلبة العلم فيحولون بينهم وبين إتباع الكتاب والسنة والتفقه في نصوصهما بل يدعون الناس إلى إتباع الكتاب والسنة والاعتصام بهما ويرون وجوب ذلك على الناس جميعاً ويحذرونهم من مخالفتهما .

---

(1) المصارعة ١٢١ .

(٢) المصارعة ١٢٢ .

ثم نسأل فالحاً ما هي الأمور التي كتمها العلماء أو جهلوها وانفرد بعلمها وبيانها؟!!.

وبعد فلعل الشيخ فالح بهذه التنبيهات يدرك خطورة أساليبه وأحكامه على بعض الناس ومجاوزته للحق والعدل ويدرك خطورة مجاراته للسائلين المجهولين المغرضين الذين يسعون في تفريق السلفيين وضرب بعضهم ببعض وقد تحقق لهم ما يسعون فيه ويصبون إليه.

ثانياً:- حكم من يختار عالماً يرجع إليه في قضية معينة

قال لكم السائل وهو يتكلم عن عيد شريفي الجزائري:" يقول : (ما لم يَتَكلَّم الشيخ ربيع فلا أَلتفت إلى هؤلاء !) .

فقلتم : هذا الإنسان ما يفهم ، هذا يُكذِّب الكتاب والسنَّة ! هذا يكذِّب الإسلام !! ، الكتاب والسنَّة رَبَطَا الناس بأهل الذكر .

لا يوجد أهل الذكر في هذا الزمان إلا الشيخ ربيع ؟! ، هذا حجَّر واسعاً ، هو الآن وقع في شرٍ مما اتهم به غيره ، هو قبل قليل يرى أن هذا البلد المعيَّن لا يَرون العلم إلا عندهم ، هو الآن حصر العلم في الشيخ ربيع ! ، لقد حجَّر واسعاً ، لقد انتهى إلى ضيعةٍ هذا الشخص

.

أنا أرى أنكم تعيدون النظر في عقلية هذا الشخص ، هذا الشخص يُعَاد النظر في عقله ، أما قضية عِلمِه فقد انتهى" .

أقول: إن الله قد ربط الناس جميعاً بمحمد ﷺ وبما جاء به من كتاب وسنة وأمر من لا يفقه نصوصهما أن يرجع إلى أهل الذكر أي العلماء بالكتاب والسنة فعاد الأمر إلى محمد ﷺ وما جاء به .

إن عيد شريفي قد عرف عند حملة العلم وطلابه في الجزائر أنه صاحب هوى وينتصر لبعض أهل الأهواء.

ثم هب أن قائل هذا الكلام بالحرف غير عيد الشرفي سواء كان من أهل السنة أو من أهل البدع فقوله:" لا ألتفت إلى هؤلاء"، من هم لا ندري أهم علماء أم جهلاء من أهل بلده أو من غيرهم، فهل يجوز شرعاً أن تحكم بهذا الحكم الغليظ.

ثانياً:- هب أنهم من العلماء؟، فهل إذا اكتفى شخص في ملمة نزلت به بعالم واحد في نظره من بين عشرات أو مئات العلماء ، يثق به وبعلمه ودينه وإدراكه لمثل هذه المشكلة التي نزلت به وبغيره.

ألا ترى أنه بعمله هذا قد عمل بمقتضى قول الله تعالى:((فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون))، لأنه رضي بالرجوع إلى من يعتقد أنه من أهل العلم ، إن قلت لا يكفي هذا وأنه قد كذب الكتاب والسنة وكذب بالإسلام بالرجوع إلى واحد فقط فنقول:

من سبقك إلى هذا القول والحكم من العلماء من الصحابة إلى عصرنا هذا؟!.

ثالثاً:- هب أنه لم يرجع إلى أحد من العلماء وسرق وزنى وشرب الخمر وقتل النفس غير مستحل، أيقال لمثل هذا أنه عاص فاسق ومعرض للوعيد بالنار التي توعد الله بها مرتكب هذه الكبائر مع دخوله تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

أو يقال فيه هذا يكذب الكتاب والسنة وهذا يكذب الاسلام؟.

رابعاً:- أنت تعرف أن للشيخ ربيع عناية بالشباب في الجزائر من زمن قديم ولا يزال، وعلاقته بهم قوية وهو يهتم بمشاكلهم أكثر من غيره، وكثيراً ما يرجعون له لاسيما بعد موت العلماء الثلاثة ابن باز والألباني وابن عثيميين.

أستكثرت عليه بعد هذا أن ينتظر رأي ربيع ثقة به في قضية معينة؟، أو ما كان يجمل بك أن تبتعد عن هذه الحملة الشديدة التي لا ينبغي أن تقوم بها إلا على من رُجع إليه من أهل البدع والضلال؟.

أيا فالح أتعتبر أن من يرجع إلى ربيع مكذباً لله ولرسوله وللإسلام، ويكون قد حصر العلم في شخص واحد، وانتهى إلى ضيعة وصار مجنوناً؟.

وأسألك ما حكمك في أناس اتخذوك إماماً ومرجعاً وحيداً ونفروا عن العلماء، فإن عرضت عليهم أقوالهم رفضوها؟.

وأخيراً لقد وجدت نفسي مضطراً لأن أصحح بعض أحكامك نصحاً لله ولكتابه ولرسوله، ثم لك وللمنهج السلفي وأهله.

انطلاقاً من المنهج الحق القائم على العدل وعلى كتاب الله وسنة رسوله وتطبيق السلف

ثالثاً:- هل سكوت بعض أهل العلم أحياناً مراعاة للمصالح والمفاسد أمر سائغ أو خيانة

قال لكم رجل متسائلا:" س : هي حقيقة نحن نزن إن شاء الله بموازين أهل السنة المحضة[١] إن شاء الله، إلا أن هناك بعض الأمور التي نطرحها عليكم حتى نجد تفسيرا لها .

مثل : كثير منا يقول لماذا مثلا كبار المشايخ [لا يتكلمون] ...

(فقلت مقاطعا) : لا يهمني ! لا تسأل هذا

قال : صح !

فقلت : إسألني أنا ، أنا مادام عندي واحد[٢] ساكت ما تكلَّم أنا لا أتكلم ، هذا ما هو منهج ! و هناك من نشر مثل هذه الأشياء و من يحفظها يظن أنها هي منهج أهل السنة و الجماعة ، و هذه مشكلة !يحاكم الناس إليها.

عندما اقترح المشركون على رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يتنازل عن شيء منها ، و هناك أمور الرسول صلى الله عليه و سلم صرَّح على أنه تركها ، مثل : ((لولا أن قومك ..)) حديث عائشة ، و كذلك لما الصحابة صلوا وراء عثمان و قد صلى خلف الرسول صلى الله عليه و سلم ركعتين ، و هو متِّمٌ ، و هكذا ؛ هذه الأمور ليست في الأصول و في الأمور الحتمية و القطعيَّة و العقائد فانتبهوا إلى هذا بارك الله فيكم

ثم أيضا الله سبحانه و تعالى حينما وجَّه الأمة لم يربطها بشخص واحد [٣]، و لم يربطها بأن الإنسان لا تقوم الحجة عليه بكلام شخص واحد من أهل الذكر و أهل العلم إذا سأله .

فقولنا : لماذا فلان يسكت ، لماذا لم يتكلم ،لماذا فلان خالف ، لماذا... ؟

هذه ما يُحكم بها ، و لا يُحاكم إليها ؛ هذا على مقتضى منهج أهل السنة و الجماعة".

ولي ملاحظات على هذه الإجابة:

([١]) أهل السنة المحضة في نظره هم الذين يعظمون الشيخ فالحاً ويسقطون العلماء ويجعلون تلاميذهم أحزاب التمييع.

([٢]،٣) من قال هذا ؟ ثم إنه معروف هذا الواحد، وهو لم يسكت جبنا ولا غشاً وإنما سكت عن أسئلة أناس لهم أغراض ومقاصد سيئة منها إسقاط أناس في بلدهم هم أمثل الناس، وبإسقاطهم تنتهي الدعوة السلفية في ذلك البلد، فكنا ننصح رئيس السائلين بالتفاهم معهم ونصحهم باللطف، وإذا لم يرجعوا يرفع أمرهم إلى العلماء ليناصحوهم .

ولسوء قصدهم تركوا العلماء واتجهوا إليك وحدك، فصرت تقول مثل هذا الكلام، وترتب على إجاباتك لهم ما ترتب من الأمور الضارة بك وبالدعوة السلفية والسلفيين، وهذا من أهداف السائلين.

١- ما تدري ما هي الأشياء التي ترى أنها ليست من منهج أهل السنة والجماعة فلعلها لو عرضت على العلماء لتبين أنها أو بعضها على الأقل من منهج أهل السنة والجماعة.

٢- كان ينبغي أن تحاول أن تعرف أسباب سكوت العلماء عن الأمور التي تفتي فيها، فلعلك تجد عندهم الحجة المقنعة، وتعرف صواب موقفهم، ومثل هذه المشاكل ينبغي أن تعرض على العلماء، فإن في مشاورتهم خيراً كثيراً، فقد يرجحون الكلام فيها وقد يرجحون عدم الرد المعلن ويؤثرون توجيه النصائح فإما أن يستفيد المنصوح، وإما أن يعاند فيكون قد عرض نفسه لنقد العلماء ولإسقاط نفسه.

وبمثل هذه الأسباب تضمن وحدة الكلمة مع إخوانك وشيوخك ويسلم الشباب من التفرق والتمزق الأمر الذي حصل فعلا، وكان شديداً بسبب التفرد والتسرع.

٣- قلتم :" عندما اقترح المشركون على رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يتنازل عن شيء منها ، و هناك أمور الرسول صلى الله عليه و سلم صرَّح على أنه تركها ، مثل : ((لولا أن قومك ..)) حديث عائشة ، و كذلك لما الصحابة صلوا وراء عثمان و قد صلى خلف الرسول صلى الله عليه و سلم ركعتين ، و هو متِّمٌ ، و هكذا ؛ هذه الأمور ليست في الأصول و في الأمور الحتمية و القطعيَّة و العقائد فانتبهوا إلى هذا بارك الله فيكم ".

أقول:

نعم كان المشركون يقترحون إبطال دعوته إلى التوحيد من أساسها، وإقامة دولة الشرك على أنقاضها، وهذا مطلب لا يستجيب له أضعف الناس عقيدة وإيماناً، فضلاً عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٤- قلتم :" و هناك أمور الرسول صلى الله عليه و سلم صرَّح على أنه تركها ، مثل : ((لولا أن قومك ..)) حديث عائشة ، و كذلك لما الصحابة صلوا وراء عثمان و قد صلى خلف الرسول صلى الله عليه و سلم ركعتين ، و هو متِّمٌ ، و هكذا ؛ هذه الأمور ليست في الأصول و في الأمور الحتمية و القطعيَّة و العقائد فانتبهوا إلى هذا بارك الله فيكم ".

أقول:

إن ترك النبي صلى الله عليه وسلم بناء الكعبة من ترك مصلحة مرجوحة لدرء مفسدة كبيرة، درؤها هو الراجح والمقدم.

هذه المفسدة هي خشية أن ترتد قريش وغيرهم من العرب لمكانة الكعبة في نفوسهم ، ونفوس آباءهم وأجدادهم، إذ هي مصدر فخرهم واعتزازهم.

فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم الكعبة وبناءها على قواعد إبراهيم لدرء هذه المفسدة.

فعمل الرسول هذا تقعيد لقاعدة عظيمة، وتأصيل متين لأمته ليواجهوا به الأحداث والمشاكل الدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

وإذن فترك الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا العمل ليس من باب ترك عمل فرعي، وإنما هو دفع للفتنة وتأصيل للأمة لتواجه به الأخطار والمشاكل والفتن.

ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، وسد الذرائع المفضية إلى الأضرار والمفاسد من الأصول العظيمة التي لا يقوم الإسلام وحياة المسلمين إلا عليها.

خذ مثلاً قول الله تعالى :((ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم".

فإن سب أوثان المشركين حق وقربة إلى الله وإهانة للأنداد، لكن لما كان يؤدي إلى مفسدة كبرى هي سب الله وجب تركه، فليس هذا العمل من باب الفروع، وإنما هو من باب الأصول والعقائد.

وصلاة الصحابة وراء عثمان وهو يتم في صلاة كان يقصرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ليس من التنازل عن سنة أو عمل فرعي، وإنما هو من باب درء المفاسد الكبرى، فلو تركوا الصلاة خلف إمام المسلمين لأدى ذلك إلى الخلاف والتنازع وافتراق الأمة وسفك الدماء.

وقولك:" عندما اقترح المشركون على رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يتنازل عن شيء منها...". قد أجبت عن طرف منه، وأضيف أليس المشركون أنفسهم قد اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمورا يوم صلح الحديبية للتنازل عنها ، فلأجل المصالح والمفاسد التي راعاها استجاب لهم فيها وهي من أصول الأصول.

لأن من وراء ذلك مصالح عظيمة، منها النصر العزيز والفتح المبين واقتلاع جذور الشرك والكفر، وهو صلى الله عليه وسلم بهذا الصلح العظيم كان يشرع قواعد الصلح والسلم ، وقواعد المعاهدات بين الدولة الإسلامية وبين أعدائها.

قال تعالى إشادة بهذا الصلح :((إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينرك الله نصراً عزيزاً هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم)).

لأن المؤمنين كانوا قد نزل بهم من الغم والكرب بسبب الصلح، الذي ظاهره ضيم وظلم، وباطنه العزة والنصر، الأمر الذي هو فوق مدارك البشر، والذي أطلع الله عليه رسوله الكريم، وكان صلى الله عليه وسلم يتلقى الشروط الظالمة المتغطرسة بصدر رحب ونفس مطمئنة ، وهو في غاية الثقة بإعلاء كلمة الله ونصر ربه.

روى البخاري في صحيحه في كتاب الشروط(حديث٢٧٣١-٢٧٣٢). من حديث المسور بن مخرمة ومروان في قصة عزوة الحديبية أنه لما جاء مندوب قريش سهيل بن عمرو وقال هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم :" بسم الله الرحمن الرحيم"، فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي ولكن اكتب " باسمك اللهم" كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا "بسم الله الرحمن الرحيم"، فقال النبي :" اكتب باسمك اللهم"، ثم قال:" هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله" فقال سهيل :" والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب " محمد بن عبد الله" فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله ".

فهل هذا التصرف وهذه الموافقة والتسامح كانت في أمور يسيرة، أو كانت في أمور كبيرة، وأصول عظيمة، لكن لأجل أن وراءها ما لا يدركه العقل من نصر الإسلام وظهوره على الكفر والشرك.

إن فوائد هذا الصلح لعظيمة جداً ذكرها الإمام ابن القيم في زاد المعاد نختار منها ما يناسب المقام

قال ابن القيم في زاد المعاد(٣/٣٠٤-٣٠٦) عن فوائد صلح الحديبية:"

منها: جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العدو إذا رأى المصلحة للمسلمين فيه ولا يتوقف ذلك على أن يكون ابتداء الطلب منهم.

ومنها: احتمال قلة أدب رسول الكفار، وجهله وجفوته ولا يقابل على ذلك لما فيه من المصلحة العامة.

ومنها: أن مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما".اهـ

وقال في موضع آخر (٣/٣٠٩-٣١٠):" في الإشارة إلى بعض الحكم التي تضمنتها هذه الهدنة: وهي أكبر وأجل من أن يحيط بها إلا الله الذي أحكم أسبابها فوقعت الغاية على الوجه الذي اقتضته حكمته وحمده.

فمنها: أنها كانت مقدمة بين يدي الفتح الأعظم الذي أعز الله به رسوله وجنده، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، فكانت هذه الهدنة باباً له، ومفتاحاً، ومؤذناً بين يديه، وهذه عادة الله في الأمور العظام التي يقتضيها قدراً وشرعاً، أن يوطئ لها بين يديها مقدمات وتوطئات تؤذن بها وتدل عليها.

ومنها: أن هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح، فإن الناس أمن بعضهم بعضاً، واختلط المسلمون بالكفار، وبادؤوهم بالدعوة، وأسمعوهم القرآن وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وظهر من كان مختفياً بالإسلام، ودخل في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل، ولهذا سماه الله فتحاً مبيناً، قال ابن قتيبة: قضينا لك قضاء عظيماً، وقال مجاهد: هو ما قضى الله له بالحديبية".

قال الحافظ في الفتح (٥/٣٥٢)فيه :" فيه جواز بعض المسامحة في أمر الدين واحتمال الضيم فيه ما لم يكن قادحاً في أصله إذا تعين ذلك طريقاً للسلامة في الحال والصلاح في المآل، سواء كان ذلك في حال ضعف المسلمين أو قوتهم".

أقول: لقد تسامح رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الصلح في أمور عظيمة من أصول وفروع، فمن الأصول التي تسامح فيها عدم كتابة " بسم الله الرحمن الرحيم" والأخذ بما اقترحه سهيل بن عمرو " باسمك اللهم" مع غضب الصحابة وحلفهم بالله أنه لا يكتب إلا " بسم الله الرحمن الرحيم".

وتسامح في عدم كتابة " محمد رسول الله"، وهي الركن الثاني من أركان الشهادتين، أصل الإسلام، وكتابة ما أصر عليه سهيل بن عمرو مندوب قريش " محمد بن عبد الله".

إلى شروط مجحفة منها أن محمداً صلى الله عليه وسلم يرد من جاءه من مكة مسلماً، ولا ترد قريش من جاءها من المدينة، مما زاد الصحابة حنقاً وغيظاً حتى قال عمر رضي الله عنه وهو يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم:" ألست نبي الله حقاً؟ فقال رسول الله بلى، فقال عمر ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟، فقال رسول الله بلى، فقال عمر: فلم نعطي الدنية في ديننا؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني رسول الله ولست عاصيه وهو ناصري".

لأن النبي صلى الله عليه وسلم يدرك ما لا يدركه عمر الفاروق العبقري ولا غيره.

ثم أقول:

ما رأيكم في هذا التسامح الذي قام على جلب المصالح ودرئ المفاسد، أليس لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة.

فلعل العلماء الذين ترى سكوتهم تنازلا وربما رأيته كتماناً وخيانة أبعد نظراً منك وأعرف بالمصالح والمفاسد، وأعرف بالقواعد والأصول، وما يترتب على المواقف والتصرفات.

وإلى الله المشتكى من تسرعات ومبادرات ليس فيها أي التفات إلى هذه الأمور العظيمة فأذاقت الدعوة السلفية الأمرين وأوقعتها في غربة وكربة.

رابعاً:–هل نهي الجهال عن الخوض في الفتن يخالف ما جاءت به الرسل وترده العقول؟

٤– قلتم في مناسبة من المناسبات:" ويقول عبد المالك –وهو يكلّمُهُ مَن يكلّمه– يقول : (لا تدخلوا في هذه الفتنة) ، (وهذا خلاف بين المشايخ) ، (ومن لا يعنيه الأمر لا يدخل فيه) ، (ومن يريد أن يَحكم وينظر مع مَن الحق ويأخذ بِما يؤدي إليه إجتهاده ويقتنع به) ؛ هذه مُيوعة ! ما جاءت بِها جميع رسالات الرسل ، بل العقل يرّدُ مثل هذا الكلام ! .

يريدون أن أكون مقلدا فعلاً ! ، تقليداً لا يجوز ، فلأنه إذا كان التقليد لغيري فمثلي أنا – وأنا أعرف الحق ومنهج أهل السنَّة والجماعة– فأنا أتبع الحق وما كان ذلك سائغا إطلاقا لأهل العلم ، وغيرُهُم يرجع إليهم حين .. إذا كنتُ أنا كذلك".

أقول:

إنا نأخذ على عبد المالك موقفه من قضية أبي الحسن وقد ناقشته فيها بجد لماذا؟.

لأنه كانت له مواقف قوية وصريحة ضد المنحرفين عن المنهج السلفي، أما تجاه قضية أبي الحسن فقد ضعف، لكنه مع هذا لم يحاربنا كغيره ممن انحاز إلى أبي الحسن، بل بلغني أنه لما زعم أبو الحسن أن عبد المالك وجملة من العلماء معه، كذب أبا الحسن وقال:" أنا لست معه".

وأعرف أنه إذا سئل عن مشكلة أبي الحسن يحيل السائلين إلى الشيخ ربيع، ولقد كان الرفق به أولى لأن الشدة عليه زادت القضية تأزماً، بل الطعن فيه أدى إلى فتنة كبيرة في الجزائر وفرنسا، حيث فرقت السلفيين شذر مذر، وجعلت بأسهم بينهم شديداً.

لقد بدلت جهود عظيمة في نشر الدعوة السلفية في فرنسا، من نشر الكتب النافعة والأشرطة والمحاضرات السلفية الجهود التي توضح المنهج السلفي وتدحض ضلالات وأباطيل أهل الأهواء.

فاجتمع على المنهج السلفي أعداد كبيرة متفقة على الحق، متعاونة على الحق متآخية في الله الأمر الذي كبت أهل الباطل من جماعة التبليغ والإخوان وفصائلهم وذلك مما يساعد على انتشار السلفية.

ولما تكلمتم في عبد المالك جاءت الفتن، واشتعلت نيران الفرقة التي أوقفت الدعوة ودمرتها، وجعلت بأس أهلها بينهم، ثم لا علاج من قبلكم.

ولقد تعبت كثيراً وكثيراً هنا وهناك، من معالجة آثار كلام من لا ينظر في العواقب، ولا يراعي المصالح والمفاسد، ولا يستخدم الرفق والحكمة، تلكم الأمور والأصول العظيمة التي يجب مراعاتها ، ولا تقوم للدعوة قائمة إلا بها.

ومع الأسف أن كل من يدرك حجم هذه المعضلة وينصر هذه المعالجات المشروعة، يرمى بالتمييع وأحزاب التمييع.

ثم نأتي لكلام عبد المالك من منطلق سلفي:" (لا تدخلوا في هذه الفتنة) ، (وهذا خلاف بين المشايخ) ، (ومن لا يعنيه الأمر لا يدخل فيه) ، (ومن يريد أن يَحكم وينظر مع مَن الحق ويأخذ بِما يؤدي إليه إجتهاده ويقتنع به".

فقوله للشباب لا تدخلوا في الفتنة لا ينبغي الاعتراض عليه، فإن كثيراً من الشباب إذا خاضوا في الفتنة جرفتهم أو مزقتهم،وقد حصل هذا، فالأسلم لهم البعد عنها وعدم الخوض فيها، والحفاظ على عقيدتهم وأخوتهم في الله، وأن يدعوا العلاج للعلماء.

وأنت تعلم ان كثيراً من الصحابة توقفوا عن المشاركة في فتنة الجمل وصفين، منهم سعد ابن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد.

وكذلك قوله:" ومن لا يعنيه الأمر لا يدخل فيه"، لاشك أن كثيرا ممن لا يعنيهم الأمر والمغرضين قد يخوضون في الفتنة ليزيدوها اشتعالاً وهذا أمر ملموس، فهؤلاء الأسلم للدعوة وأهلها أن لا يدخلوا في الأمر .

وكذلك قوله:" ومن يريد أن يَحكم وينظر مع مَن الحق ويأخذ بِما يؤدي إليه إجتهاده ويقتنع به".

وهذا كلام حق لمن هو مؤهل للنظر والحكم، مع تجرده لله.

وقد نظر ناس كثير من اليمن والمدينة وغيرها فأدركوا الحق وحكموا به.

وإذن فحكمكم على كلامه هذا بأنه ميوعة ما جاءت بها جميع الرسالات حكم فيه تهويل لا يجوز نسبته إلى المنهج السلفي بحال من الأحوال.

خامساً:- ليس من الإرجاء

سألكم سائل:" قال السائل : القائل بأن تارك جنس العمل ناقص الإيمان هل يكون بقوله هذا موافق[1] للمرجئة ؟"

فأجبتم: لا شك أنه موافق للمرجئة لكن ينبغي النظر على حقيقة قوله ، وإلى ما يعتقده وإلى ما يعمله هو ، المسألة ما تؤخذ هكذا على عواهنها ويحكم عليه هكذا ، كثيراً وكثيراً ما يتهم- يعني كما أتهم الشيخ الألباني وغيره — يتهم أهل السنة بمجرد اتهام فينبغي أن نكون حذرين ونكون أذكياء في هذا الوقت الذي تولى أهل البدعة كِبَر اتهام أهل السنة بالإرجاء وهذا مذهب الخوارج يتهمون اهل السنة بالإرجاء وهذا مذهب الخوارج معروف من قديم ، حتى الإمام أحمد نص عليه : أن الخوارج يتهمون أهل السنة بالإرجاء ، يقولون عنهم مرجئة وهم أولى بهذا الوصف ، فهم لا يرون أن غيرهم يكون مؤمناً ومسلماً ، ويحكمون عليه بالكفر ...".الخ

أقول :

١- كان ينبغي أن تنصحهم بعدم الخوض في جنس العمل لأنه أمر لم يخض فيه السلف فيما أعلم، والأولى التزام ما قرره وآمن به السلف من أن الإيمان قول وعمل قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح .

وأنه يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ثم الإيمان بأحاديث الشفاعة التي تدل على أنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان أو أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان .

٢- مذهب غلاة المرجئة في الإيمان أنه هو المعرفة وعند بعضهم أن الإيمان هو التصديق ومنهم الأشاعرة وعند مرجئة الفقهاء الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان .

وعند كل هذه الأصناف أن العمل ليس من الإيمان وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

---

[1] كذا قال.

فإذا كان هناك أحد يقول في تارك جنس العمل إنه ناقص الإيمان أو مرتكب الكبيرة ناقص الإيمان فإنه لا يصح أن يقال عنه أنه قد وافق المرجئة لأن المرجئة لا يقولون لا بزيادة الإيمان ولا بنقصانه، بل مرتكب الكبائر عندهم كامل الإيمان بل إيمان أفسق الناس مثل إيمان جبريل ومحمد ﷺ وهذا أمر واضح عند طلاب العلم فلا أدري كيف غفلتم عنه .

٣- نعم الخوارج والمعتزلة يرمون أهل السنة بالإرجاء ويرميهم غيرهم بمثالب يفترونها عليهم لكن لم يظهر لي قولك عن الخوارج أنهم أولى بهذا الوصف أي الإرجاء وأنت تعلم أن المسائل العلمية يجب أن تقرر على الأوجه الصحيحة المطابقة للواقع تجنيباً للطلاب من الخلط والخبط فيها .

سادساً:- أدنى حد للإيمان

سئلتم :" ما هو أدنى حد لمطلق الإيمان ؟ ، أي : مرتبة الظالم لنفسه ، ما هو أدنى حد لها ؟.

فأجبتم : أدنى حدٍ لَها -الصلاة- ، مُختلف فيها كما ذكرت ، وما عداها فكون الإنسان ينقصُ إيمانه نعم ! ، وقد لا يبقى عنده شيء من الإيمان ، هي أدنى حد ، أدنى حد ما نستطيع نحن نحدده لأننا نعتقد ، يعني يجب أن يعتقد المسلم أن الأعمال من الإيمان ، وأنه قد يذهب نهائيا بالأعمال ، وأن فيه أشياء إذا قامت الحجَّة على شخص أنه كافر بِها فهو يكفر ولا نقول أنه لا يخرج أحد من الإسلام" .

أقول:

أعتقد أن رسول الله قد بين أدنى جد للإيمان.

فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد (٧٠٧١)، عن أنس رضي الله عنه قال:" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إذا كان يوم القيامة شَفَعت فقلت يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون، ثم أقول: أدخل

الجنة من كان في قلبه أدنى شيء"، فقال أنس كأني أنظر إلى أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وفي رواية أخرى في البخاري(٧٠٧٢):" فأقول يا رب أمتي فيقول انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل".

فأنت ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين أدنى حد للأيمان بياناً شافياً ففي بيانه الكفاية والشفاء.

سابعاً:- لماذا لا يتكلم كبار العلماء في بعض الأمور

١- قلتم جوابا على سؤال :"لكن يا شيخنا لو تلاحظون أنكم تتفردون بكثير من ..

فأجبتم:" نحن لا يهمنا ! نحن ندين الله ، ونطبّق أصول أهل السنَّة والجماعة ، فما ندين الله به نقوله ، نُصحًا للأمَّة وحمايةً لهذا الدين ، الدِّين النصيحة ، الدين النصيحة ؛ من رأى منكم منكرا .. إلى آخر الحديث .

نحن نستطيع باللسان ، وإخوننا يريدون منَّا .. يسألوننا فلا نغشهم ونضلِّلهم ، فيه أمور مختلفة ، فيه أمور في المنهج ، فيه أمور في العقيدة ، فيه أمور من السنن والأشياء التي لا يُمكننا السكوت ، يُمكن التأخير !! .

أمَّا قضية العقائد والمناهج فيخدعكم من يقول لكم : (نسكت في هذا الوقت) ، (ولماذا قبل هذا الوقت ؟) ، الإنسان في وقت من الأوقات على حال ، ثم فيما بعد على حال ، ثم في وقت ما تبيَّن له ، ثم في وقت آخر تبيَّن له ما لم يتبيَّن له من قبل ، وهكذا . الإنسان يولد طفلا ثم بعد ذلك يكون له سلوك ثم بعد ذلك يكون له طريقة ، ثم بعد ذلك ...

-المسألة- ! ، لا تزنوا بموازين أهل الأهواء [١]! ".

وقال السائل: هي حقيقةً ! ، نحن نزن -إن شاء الله- بِموازين أهل السنَّة المحضة -إن شاء الله- ، إلا أن هناك بعض الأمور التي نطرحها عليكم حتى نجد تفسيراً لها .

مثل : كثير منَّا يقول لماذا مثلا كبار المشايخ لا يتكلمون ؟! .

فقلتم : لا يهمنِّي ! لا تسأل هذا .

السائل : صَّح ! .

قلتم : إسألني أنا ، أنا مادام عندي واحد ساكت ما تكلَّم ، أنا لا أتكلم !! ، هذا ما هو منهج ! ، وهناك من نشر مثل هذه الأشياء ومن يحفظها يظُّن أنَّها هي منهج أهل السنَّة والجماعة ، وهذه مشكلة ! .

فيُحاكم الناس إليها ، عندما اقترح المشركون على رسول الله ص لم يتنازل عن شيء منها ، وهناك أمور الرسول ص صرَّح على أنه تركها ، مثل : ((لولا أن قومك ..)) حديث عائشة

---

(١) لا ندري ما هي موازين أهل الأهواء التي تحذرون منها.

، وكذلك لمَّا الصحابة صلُّوا وراء عثمان وقد صلَّى خلف الرسول ص ركعتين ، وهو متِّمٌ ، وهكذا ؛ هذه الأمور ليست في الأصول وفي الأمور الحتمية والقطعيَّة والعقائد ، فإنتبهوا إلى هذا –بارك الله فيكم– ، ثم أيضا الله . حينما وجَّه الأمَّة لم يربطها بشخص واحد ، ولم يربطها بأن الإنسان لا تقوم الحجة عليه بكلام شخص واحد من أهل الذكر وأهل العلم إذا سأله ! .

فقولنا : لماذا فلان يسكت ! ، لماذا لم يتكلم ! ، لماذا فلان خالف ! ، لماذا ؟ ، هذه ما يُحكم بِها ، ولا يُحاكم إليها ؛ هذا على مقتضى منهج أهل السنَّة والجماعة".

أقول:

إن العلماء الفقهاء الناصحين قد يسكتون عن أشخاص وأشياء مراعاة منهم للمصالح والمفاسد.

فقد يترتب على الكلام في شخص مفاسد أعظم بكثير من مفسدة السكوت عنه.

فقد سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذكر أسماء المنافقين، ولم يخبر بأسمائهم أو بعضها إلا حذيفة، ومتى كان يصعد على المنبر ويقول فلا منافق، وفلان منافق.

كل ذلك مراعاة منه للمصالح والمفاسد.

وكان قتلة عثمان في جيش علي رضي الله عنه، وما طعن كبار الصحابة الباقين في علي رضي الله عنهم، ولا أحد من عقلاء التابعين، وما كانوا يركضون بالتشهير بعلي، والأحكام على هؤلاء القتلة، وكان ذلك منهم إعذار وإنصاف لعلي، لأنه لو أخرجهم من جيشه أو عاقبهم لترتب على ذلك مفاسد عظيمة ، منها الحروب وسفك الدماء وما يترتب على ذلك من وهن الأمة وضعفها.

فهذا العمل منه من باب ارتكاب أدنى المفسدين لدفع أكبرهما.

وهذا ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لماذا لم يبينا عقيدة النووي وغيره ، وأئمة الدعوة لم يبينوا عقيدة النووي وابن حجر والقسطلاني والبيهقي والسيوطي وغيرهم؟.

فلا تظن أن كل تصريح نصيحة ولا كل سكوت غشاً للإسلام والمسلمين.

والعاقل المنصف البصير يدرك متى يجب أو يجوز الكلام ومتى يجب أو يجوز السكوت.

وكان يجب في كثير من الأمور أن ترجع إلى إخوانك لتستشيرهم وتستنير بآرائهم .

٢- وقلتم جوابا على سؤال آخر نصه:" هنا يَرِدُ السؤال ؛ يقول من إتخذ من التمييع منهجا له : لماذا لا يقتدي الشيخ فالح بغيره من العلماء ويراعي مصلحة الدعوة ؟!! .

فأجبتم : يا أخي كما يقول العامّة : (كل شاة معلَّقة بكراعها) ! .

أخذها الشاعر وقال :

وكل شاة برجلها معلقة عليك نفسك إن جاروا وإن عدلوا

هل هذا تبرأ به ذمَّة فالح ؟ ، هل فالح يكون قد أدَّى ما عليه ، وإلا صار مقلداً متابعا ؟ ، عليهم أن يتقوا الله ، وهم الذين يقولون ويزعمون على قاعدة أبي الحسن والذي تكلَّمنا عنها في محاضرة الليلة أنها من أسوءِ القواعد : (لا نقلد ونقول الحق ونجتهد ، وكل أحدٍ له أن يجتهد) ! .

لكن هذا الذي أنا أرى : أنني أعرف الحق وأعرف منهج أهل السنَّة والجماعة ، أدَّعي لنفسي العلم فما تبرأ ذمَّتي ، وهذه الأمور موجودة وأتبع غيري ، ويقال يَسعه ما وسع غيري ، ثم أنا فرَّقتُ بين الأمور التي يُمكن أن تُؤَّخر ويُسكت فيها وهي غير الأصول ؛ الفروع ، السنن الأشياء غير الأصول والعقائد والمناهج ، وبين المناهج والعقائد والأصول ، ومخالفة الأصول عند أهل السنَّة والجماعة ، -بارك الله فيكم- .

كيف يُحاكم إلى قواعد المبتدعة وإلى جهالات الجهَّال [١]، وكيف أُلزَم بما لا يلزمني دينا ، ما لا يلزمني دينا أنا أعرفُ به ! .

وقلتم إجابة على سؤال آخر:" لو سمحتم ، تَكَلُّمُ الذي معه علم ، يعني هو غير ملزم بالسكوت ؟ .

فأجبتم: كيف له أن يسكت : ((أنصر أخاك ظالـمًا أو مظلوما)) ، ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ومن لم يستطع فبلسانه)) ، حديث الفِرَق ؛ فكوْنُ الشخص يرى مُخالفة سبيل المؤمنين ، + وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ـ( ) ، فسبيل المؤمنين هو إتباع الصراط المستقيم ، + وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُل ـ( ) .

+ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ ـ( ) .

---

(١) ماهي قواعد المبتدعة التي طُلب منكم التحاكم إليها.

إن مراعاة المصالح والمفاسد من أهم قواعد الإسلام وأصوله، وكم يجلب الله بذلك من الخير ويدفع به من الشر ، وعدم مراعاتها فيه بلاء عظيم.

يُترك هذه الأمور ويضرب بِها عرض الحائط ، وإن كانت هذه الآيات في أهل الكتاب لكن (العبرة بعمُوم اللفظ لا بِخصوص السبب) ، والنصوص والكتاب والسنَّة كافية على ذلك – بارك الله فيكم–

فكيف لهذا الإنسان يُحاكم إلى الآخرين ، ويتبع الآخرين ويكون ذيلا لهم ؟ ، ما يصلح هذا الكلام ! ، خصوصا إذا كان الآخرين لم يُبيِّنُوا أو لم يعلَمُوا عِلمه –بارك الله فيكم– ".

أقول :

ما ينبغي أن تتكلم بهذا الأسلوب الذي يشعر الناس بأن علماء المنهج السلفي ودعاته قد خذلوا الدعوة السلفية وتخلوا عنها، بل كتموا الحق.

واعلم أخي أن غيرك من العلماء لم يسكتوا، ويحملون من هموم الدعوة والشباب أكثر مما تحمله أنت.

فهم ينصحون ويعالجون ويسعون لإزالة الشبه وجمع كلمة السلفيين بكل ما يستطيعون مادياً ومعنوياً.

وكان يجب عليك أن تكون معهم في هذه الأمور التي يقومون بها، ويعانون من المشاكل والمصاعب في سبيل القيام بها ما الله به عليم، ويد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

١– أخي فالح إني محب لك منذ ثلاثين سنة وأقدم هذه الكتابة وأنا طريح الفراش من منطلق الأخوة والنصيحة، التي يجب أن تقبلها وتستفيد منها وما قبلها، وفي ذلك برهنة منكم أنكم تحبون الحق وتقبلون النصح.

٢– أدعوك إلى أن تضع يدك في يد إخوانك، وأن تحسن بهم الظن، وأن تعتقد أن فيهم من يهمه أمر الدعوة مثلك وأكثر.

٣– أدعوك إلى الجد في علاج ما جرى في هذه الأيام من فتن، ومن هذا العلاج نقد هذه الأحكام والقواعد التي صدرت منك وترتب عليها إضرار بالدعوة والشباب.

٤– وأدعوك إلى السعي في جمع الكلمة ومنها القيام بما سلف، ومنها الثناء على إخوانك والتصدي لمن يطعن فيهم، ويرميهم بالتمييع، ويصفهم بأنهم أحزاب التمييع ، لأن هذا الصنف قد جنى على الدعوة السلفية وأهلها جناية كبيرة، وشوهوهم في أعين الناس.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقك لتحقيق هذه المطالب إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه أخوكم:

ربيع بن هادي عمير المدخلي

٢٤ صفر ١٤٢٥هـ

مكة المكرمة